فهرس تصحيح الاعتقاد : للشيخ المفيد

تصحيح الاعتقاد : للشيخ المفيد :

معنى كشف الساق

تأويل اليد فصل

نفخ الأرواح

حكمة الكناية و الاستعارة فصل

المكر و الخدعة من الله معنى الله يستهزئ بهم فصل

نسبة النسيان إلى الله فصل

صفات الله

فصل في صفات الذات و صفات الأفعال :

خلق أفعال العباد

فصل في أفعال العباد :

فصل :

فصل في الفرق بين الجبر و التفويض :

فصل في الإرادة و المشيئة :

تفسير آيات القضاء و القدر

فصل فيما ذكر الشيخ أبو جعفر في القضاء و القدر :

تفسير أخبار القضاء و القدر

الكلام في معنى القضاء و القدر

معنى فطرة الله

فصل في معنى الاستطاعة :

فصل في معنى البداء :

فصل في النهي عن الجدال :

فصل :

فصل في اللوح و القلم :

فصل في معنى العرش :

فصل في النفوس و الأرواح :

فصل :

فصل فيما وصف به الشيخ أبو جعفر الموت :

فصل في المساءلة في القبر :

فصل

فصل :

فصل فيما ذكر الشيخ أبو جعفر في العدل :

فصل في الأعراف :

فصل في الصراط :

فصل في العقبات على طريق المحشر :

فصل في الحساب و الموازين :

فصل في الجنة و النار :

حد التكفير

فصل :

فصل في كيفية نزول الوحي :

فصل :

فصل في نزول القرآن :

فصل :

فصل في العصمة :

فصل :

فصل في الغلو و التفويض :

فصل :

فصل :

فصل في التقية :

في الطب

فصل في الأحاديث المختلفة :

فصل :

تصحيح الاعتقاد

للشيخ المفيد

[٢٥]

معنى كشف الساق

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ـ هـ في رسالة اعتقاداته في معنى قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ الساق وجه الأمر و شدته .

قال الشيخ المفيد معنى قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ يريد به

[٢٩]

يوم القيامة يكشف فيه عن أمر شديد صعب عظيم و هو الحساب و المداقة على الأعمال و الجزاء على الأفعال و ظهور السرائر و انكشاف البواطن و المداقة على الحسنات و السيئات فعبر بالساق عن الشدة و لذلك قالت العرب فيما عبرت به عن شدة الحرب و صعوبتها قامت الحرب على ساق و قامت الحرب بنا على ساق و قال شاعرهم أيضا و هو سعد بن خالد :

كشفت لهم عن ساقها *** و بدا من الشر الصراح

و بدت عقاب الموت *** يخفق تحتها الأجل المتاح

و من ذلك قولهم قد قامت السوق إذا ازدحم أهلها و اشتد أمرها بالمبايعة و المشاراة و وقع الجد في ذلك و الاجتهاد

[٣٠]

تأويل اليد فصل

و مضى في كلام أبي جعفر رحمه الله شاهد اليد عن القدرة قوله تعالى وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ فقال ذو القوة .

قال الشيخ المفيد رحمه الله و فيه وجه آخر و هو أن اليد عبارة عن النعمة قال الشاعر

له علي أياد لست أكفرها *** و إنما الكفر ألا تشكر النعم

فيحتمل أن قوله تعالى داوُدَ ذَا الْأَيْدِ يريد به ذا النعم و منه قوله تعالى بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يعني نعمتيه العامتين في الدنيا و الآخرة

[٣١]

نفخ الأرواح

أبو جعفر رحمه الله في قوله تعالى وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فقال هي روح مخلوقة أضافها إلى نفسه كما أضاف البيت إلى نفسه و إن كان خلقا له .

[۳۲]

قال الشيخ المفيد رحمه الله ليس وجه إضافة الروح و البيت إلى نفسه و النسبة إليه من حيث الخلق فحسب بل الوجه في ذلك التمييز لهما بالإعظام و الإجلال و الاختصاص بالإكرام و التبجيل من جهة التحقق بهما و دل بذلك على أنهما يختصان منه بكرامة و إجلال لم يجعله لغيرهما من الأرواح و البيوت فكان الغرض من ذلك دعاء الخلق إلى اعتقاد ذلك فيهما و الإعظام لهما به

[۳۳]

حكمة الكناية و الاستعارة فصل

و الذي قاله أبو جعفر رحمه الله في تفسير قوله تعالى ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أن المراد بقدرتي و قوتي .

قال أبو عبد الله ليس هذا هو الوجه في التفسير لأنه يفيد تكرار المعنى فكأنه قال بقدرتي و قدرتي أو بقوتي و قوتي إذ القدرة هي القوة و القوة هي القدرة و ليس لذلك معنى في وجه الكلام و الوجه ما قدمناه من ذكر النعمة

[۳٤]

و أن المراد بقوله ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ إنما أراد به نعمتي اللتين هما في الدنيا و الآخرة و الباء في قوله تعالى بِيَدَيَّ تقوم مقام اللام فكأنه قال خلقت ليدي يريد به لنعمتي كما قال وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و العبادة من الله تعالى نعمته عليهم لأنها تعقبهم ثوابه تعالى في النعيم الذي لا يزول و في تأويل الآية وجه آخر و هو أن المراد باليدين فيها هما القوة و النعمة فكأنه قال خلقت بقوتي و نعمتي و فيه وجه آخر و هو أن إضافة اليدين إليه إنما أريد به تحقق الفعل له و تأكيد إضافته إليه و تخصيصه به دون ما سوى ذلك من قدرة أو نعمة أو غيرهما و شاهد ذلك قوله تعالى ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ و إنما أراد ذلك بما قدمت من فعلك و قوله تعالى وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ و المراد به فبما كسبتم و العرب تقول في أمثالها يداك أوكتا و فوك نفخ يريدون به أنك فعلت ذلك و توليته و صنعته و اخترعته و إن لم يكن الإنسان استعمل به جارحتيه اللتين هما يداه في ذلك الفعل

[۳٥]

المكر و الخدعة من الله معنى الله يستهزئ بهم فصل

و ذكر أبو جعفر رحمه الله في قوله تعالى يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ

[۳٦]

و نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ و وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ و اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ

[٣٧]

أن العبارة بذلك كله عن جزاء الأفعال .

قال أبو عبد الله و هو كما قال إلا أنه لم يذكر الوجه في ذلك و الوجه أن العرب تسمي الشيء باسم المجازى عليه للتعلق فيما بينهما و المقارنة فلما كانت الأفعال المجازى عليها مستحقة لهذه الأسماء كان الجزاء مسمى بأسمائها قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً فسمى ما يأكلونه من الطيبات تسمية النار و جعله نارا لأن الجزاء عليه النار

[٣٨]

نسبة النسيان إلى الله فصل

ذكر أبو جعفر رحمه الله أن النسيان من الله تعالى يجري مجرى المخادعة منه للعصاة و أنه سمي بذلك باسم المجازى عليه .

قال أبو عبد الله و الوجه فيه غير ذلك و هو أن النسيان في اللغة هو الترك و التأخير قال الله تعالى ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها

[٣٩]

يريد ما ننسخ من آية نتركها على حالها أو نؤخرها فالمراد بقوله تعالى نَسُوا اللَّهَ تركوا إطاعة الله تعالى و قوله فَنَسِيَهُمْ يريد به تركهم من ثوابه و قوله تعالى فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أي ألجأهم إلى ترك تعاهدها و مراعاتها بالمصالح بما شغلهم به من العقاب فهذا وجهه و إن كان ذلك أيضا وجها غير منكر و الله ولي التوفيق

[٤٠]

صفات الله

فصل في صفات الذات و صفات الأفعال :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله كل ما وصفنا الله تبارك و تعالى به من صفات ذاته .

[٤١]

قال الشيخ المفيد رحمه الله : صفات الله تعالى على ضربين أحدهما منسوب إلى الذات فيقال صفات الذات و ثانيهما منسوب إلى الأفعال فيقال صفات الأفعال و المعنى في قولنا صفات الذات أن الذات مستحقة لمعناها استحقاقا لازما لا لمعنى سواها و معنى صفات الأفعال هو أنها تجب بوجود الفعل و لا تجب قبل وجوده فصفات الذات لله تعالى هي الوصف له بأنه حي قادر عالم أ لا ترى أنه لم يزل مستحقا لهذه الصفات و لا يزال و وصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق رازق محيي مميت مبدئ معيد أ لا ترى أنه قبل خلقه الخلق لا يصح وصفه بأنه خالق و قبل إحيائه الأموات لا يقال إنه محيي و كذلك القول فيما عددناه و الفرق بين صفات الأفعال و صفات الذات أن صفات الذات لا يصح لصاحبها الوصف بأضدادها و لا خلوه منها و أوصاف الأفعال يصح الوصف لمستحقها بأضدادها و خروجه عنها أ لا ترى أنه لا يصح وصف الله تعالى بأنه يموت و لا بأنه يعجز و لا بأنه يجهل و لا يصح الوصف له بالخروج عن كونه حيا عالما قادرا و يصح الوصف بأنه غير خالق اليوم و

لا رازق لزيد و لا محيي لميت بعينه و لا مبدئ لشيء في هذه الحال و لا معيد له و يصح الوصف له جل و عز بأنه يرزق و يمنع و يحيي و يميت و يبدئ و يعيد و يوجد و يعدم فثبتت العبرة في أوصاف الذات و أوصاف الأفعال و الفرق بينهما ما ذكرناه .

[٤٢]

خلق أفعال العباد

فصل في أفعال العباد :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين و معنى ذلك أنه تعالى لم يزل عالما بمقاديرها .

قال الشيخ أبو عبد الله رحمه الله الصحيح عن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى و الذي ذكره أبو جعفر رحمه الله قد جاء به حديث غير معمول به و لا مرضي الإسناد و الأخبار الصحيحة بخلافه و ليس يعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له و لو كان ذلك كما قال

[٤٣]

المخالفون للحق لوجب أن يكون من علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقد خلقه و من علم السماء و الأرض فهو خالق لهما و من عرف بنفسه شيئا من صنع الله تعالى و قرره في نفسه لوجب أن يكون خالقا له و هذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعية الأئمة (عليه السلام) فضلا عنهم .

فأما التقدير فهو الخلق في اللغة لأن التقدير لا يكون إلا بالفعل فأما بالعلم فلا يكون تقديرا و لا يكون أيضا بالفكر و الله تعالى متعال عن خلق الفواحش و القبائح على كل حال

و قد روي عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا (صلى الله عليه وآله وسلّم)

[٤٤]

أنه سئل عن أفعال العباد فقيل له هل هي مخلوقة لله تعالى فقال (عليه السلام) لو كان خالقا لها لما تبرأ منها و قد قال سبحانه أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ و لم يرد البراءة من خلق ذواتهم و إنما تبرأ من شركهم و قبائحهم

و سأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن أفعال العباد ممن هي فقال له أبو الحسن (عليه السلام) إن أفعال العباد لا تخلو من ثلاثة منازل إما أن تكون من الله تعالى خاصة أو من الله و من العبد على وجه الاشتراك فيها أو من العبد خاصة فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أولى بالحمد على حسنها و الذم على قبحها و لم يتعلق بغيره حمد و لا لوم فيها و لو كانت من الله و من العبد لكان الحمد لهما معا فيها و الذم عليهما جميعا فيها و إذا بطل هذان الوجهان ثبت أنها من الخلق فإن عاقبهم الله تعالى على جنايتهم بها فله ذلك و إن عفا عنهم فهو أهل التقوى و أهل المغفرة

و في أمثال ما ذكرناه من الأخبار و معانيها ما يطول به الكلام

فصل :

و كتاب الله تعالى مقدم على الأحاديث و الروايات و إليه يتقاضى في صحيح الأخبار و سقيمها فما قضى به فهو الحق دون ما سواه .

[٤٥]

قال الله تعالى الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ فخبر بأن كل شيء خلقه فهو حسن غير قبيح فلو كانت القبائح من خلقه لنافى ذلك حكمه بحسنها و في حكم الله تعالى بحسن جميع ما خلق شاهد ببطلان قول من زعم أنه خلق قبيحا .

و قال تعالى ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فنفى التفاوت عن خلقه و قد ثبت أن الكفر و الكذب متفاوت في نفسه و المتضاد من الكلام متفاوت فكيف يجوز أن يطلقوا علي الله تعالى أنه خالق لأفعال العباد و في أفعالهم من التفاوت و التضاد ما ذكرناه مع قوله تعالى ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فنفى ذلك و رد على مضيفه إليه و أكذبه فيه

[٤٦]

فصل في الفرق بين الجبر و التفويض :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين .

و روى في ذلك حديثا مرسلا قال فقيل و ما أمر بين أمرين قال مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة الجبر هو الحمل على الفعل و الاضطرار إليه بالقهر و الغلبة و حقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون لهم قدرة على دفعه و الامتناع من وجوده فيه و قد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التخويف و الإلجاء أنه جبر و الأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدمناه و إذا تحقق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه لأنهم يزعمون كان

[٤٧]

مذهب الجبر هو قول من يزعم أن الله تعالى خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدها و الامتناع منها و خلق فيه المعصية كذلك فهم المجبرة حقا و الجبر مذهبهم على التحقيق .

و التفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال و الإباحة لهم مع ما شاءوا من الأعمال و هذا قول الزنادقة و أصحاب الإباحات و الواسطة بين هذين القولين أن الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم و مكنهم من أعمالهم و حد لهم الحدود في ذلك و رسم لهم الرسوم و نهاهم عن القبائح بالزجر و التخويف و الوعد و الوعيد فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبرا لهم عليها و لم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها و وضع الحدود لهم فيها و أمرهم بحسنها و نهاهم عن قبيحها فهذا هو الفصل بين الجبر و التفويض على ما بيناه ز

[٤٨]

فصل في الإرادة و المشيئة :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله نقول شاء الله و أراد و لم يحب و لم

[٤٩]

يرض و شاء عز اسمه ألا يكون شيء إلا بعلمه و أراد مثل ذلك .

قال الشيخ المفيد رحمه الله الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصل و معانيه تختلف و تتناقض و السبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة و لم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها و الباطل و يعمل على ما يوجب الحجة و من عول في مذهبه على الأقاويل المختلفة و تقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه و الحق في ذلك أن الله تعالى لا يريد

[٥٠]

إلا ما حسن من الأفعال و لا يشاء إلا الجميل من الأعمال و لا يريد القبائح و لا يشاء الفواحش تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا .

قال الله تعالى وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ و قال تعالى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ و قال تعالى يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ الآية .

و قال وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً .

[٥١]

و قال يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً فخبر سبحانه أنه لا يريد بعباده العسر بل يريد بهم اليسر و أنه يريد لهم البيان و لا يريد لهم الضلال و يريد التخفيف عنهم و لا يريد التثقيل عليهم فلو كان سبحانه مريدا لمعاصيهم لنافى ذلك إرادة البيان لهم و التخفيف عنهم و اليسر لهم و كتاب الله تعالى شاهد بضد ما ذهب إليه الضالون المفترون على الله الكذب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

فأما ما تعلقوا به من قوله تعالى فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً فليس للمجبرة به تعلق و لا فيه حجة من قبل أن المعنى فيه أن من أراد الله تعالى أن ينعمه و يثيبه جزاء على طاعته شرح صدره للإسلام بالألطاف التي يحبوه بها فييسر له بها استدامة أعمال الطاعات و الهداية في هذا الموضع هي النعيم .

قال الله تعالى فيما خبر به عن أهل الجنة الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا الآية أي نعمنا به و أثابنا إياه و الضلال في هذه الآية هو العذاب قال الله تعالى إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَ سُعُرٍ فسمى الله تعالى العذاب ضلالا و النعيم هداية و الأصل في ذلك أن الضلال هو الهلاك و الهداية هي النجاة .

[٥٢]

قال الله تعالى حكاية عن العرب أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ يعنون إذا هلكنا فيها و كان المعنى في قوله فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ما قدمناه و بيناه وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ ما وصفناه و المعنى في قوله تعالى يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً يريد سلبه التوفيق عقوبة له على عصيانه و منعه الألطاف جزاء له على إساءته فشرح الصدر ثواب الطاعة بالتوفيق و تضييقه عقاب المعصية بمنع التوفيق و ليس في هذه الآية على ما بيناه شبهة لأهل الخلاف فيما ادعوه من أن الله تعالى يضل عن الإيمان و يصد عن الإسلام و يريد الكفر و يشاء الضلال .

و أما قوله تعالى وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً فالمراد به الإخبار عن قدرته و أنه لو شاء أن يلجئهم إلى الإيمان و يحملهم عليه بالإكراه و الاضطرار لكان على ذلك قادرا لكنه شاء تعالى منهم الإيمان على الطوع و الاختيار و آخر الآية يدل على ما ذكرناه و هو قوله تعالى أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

يريد أنه قادر على إكراههم على الإيمان لكنه لا يفعل ذلك و لو شاء لتيسر عليه و كل ما يتعلقون به من أمثال هذه الآية فالقول فيه ما ذكرناه أو نحوه على ما بيناه و فرار المجبرة من إطلاق القول بأن الله تعالى يريد أن يعصى و يكفر به و يقتل أولياؤه و يشتم أحباؤه إلى القول بأنه يريد أن يكون ما علم كما علم و يريد أن تكون معاصيه قبائح منهيا عنها وقوع فيما هربوا منه و تورط فيما كرهوه و ذلك أنه إذا كان ما علم من القبيح كما علم

[٥٣]

و كان تعالى مريدا لأن يكون ما علم من القبيح كما علم فقد أراد القبيح و أراد أن يكون قبيحا فما معنى فرارهم من شيء إلى نفسه و هربهم من معنى إلى عينه فكيف يتم لهم ذلك مع أهل العقول و هل قولهم هذا إلا كقول إنسان أنا لا أسب زيدا لكني أسب أبا عمرو و أبو عمرو هو زيد أو كقول اليهود إذ قالوا سخرية بأنفسهم نحن لا نكفر بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) لكنا نكفر بأحمد فهذا رعونة و جهل ممن صار إليه و عناء و ضعف عمل ممن اعتمد عليه

[٥٤]

تفسير آيات القضاء و القدر

فصل فيما ذكر الشيخ أبو جعفر في القضاء و القدر :

قال الشيخ أبو جعفر ره في القضاء و القدر الكلام في القدر منهي عنه و روى حديثا لم يذكر له إسنادا .

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد عليه الرحمة عول أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه يعرفها العلماء متى صحت و ثبت إسنادها و لم يقل فيه قولا محصلا و قد كان ينبغي له لما لم يكن يعرف للقضاء معنى أن يهمل الكلام فيه و القضاء معروف في اللغة و عليه شواهد من القرآن فالقضاء على أربعة أضرب أحدها الخلق و الثاني الأمر و الثالث الإعلام و الرابع القضاء في الفصل بالحكم .

فأما شاهد القضاء في معنى الخلق فقوله تعالى ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ إلى قوله فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ يعني خلقهن سبع سماوات في يومين .

[٥٥]

و أما شاهد القضاء في معنى الأمر فقوله تعالى وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ يريد أمر ربك .

و أما شاهد القضاء في الإعلام فقوله تعالى وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ يعني أعلمناهم ذلك و أخبرناهم به قبل كونه .

و أما شاهد القضاء بالفصل بالحكم بين الخلق فقوله تعالى وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ يعني يفصل بالحكم بالحق بين الخلق و قوله وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ يريد و حكم بينهم بالحق و فصل بينهم بالحق .

و قد قيل إن للقضاء وجها خامسا و هو الفراغ من الأمر و استشهد على ذلك بقول يوسف (عليه السلام) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ يعني فرغ منه و هذا يرجع إلى معنى الخلق و إذا ثبت ما ذكرناه في أوجه القضاء بطل قول المجبرة أن الله تعالى قضى بالمعصية على خلقه لأنه لا يخلو إما أن يكونوا يريدون به أن الله خلق العصيان في خلقه فكان يجب أن يقولوا قضى في خلقه بالعصيان و لا يقولوا قضى عليهم لأن الخلق فيهم لا عليهم مع أن الله تعالى قد أكذب من زعم أنه خلق المعاصي لقوله سبحانه الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فنفى عن

خلقه القبح و أوجب له الحسن و المعاصي قبائح بالاتفاق و لا وجه لقولهم قضى بالمعاصي على معنى أنه أمر بها لأنه تعالى قد

[٥٦]

أكذب مدعي ذلك بقوله إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ و لا معنى لقول من زعم أنه قضى بالمعاصي على معنى أنه أعلم الخلق بها إذا كان الخلق لا يعلمون أنهم في المستقبل يطيعون أو يعصون و لا يحيطون علما بما يكون منهم في المستقبل على التفصيل و لا وجه لقولهم إنه قضى بالذنوب على معنى أنه حكم بها بين العباد لأن أحكامه تعالى حق و المعاصي منهم و لا لذلك فائدة و هو لغو بالاتفاق فبطل قول من زعم أن الله تعالى يقضي بالمعاصي و القبائح .

و الوجه عندنا في القضاء و القدر بعد الذي بيناه في معناه أن لله تعالى في خلقه قضاء و قدرا و في أفعالهم أيضا قضاء و قدرا معلوما و يكون المراد بذلك أنه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها و في أفعالهم القبيحة بالنهي عنها و في أنفسهم بالخلق لها و فيما فعله فيهم بالإيجاد له و القدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقه و موضعه و في أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر و النهي و الثواب و العقاب لأن ذلك كله واقع موقعه موضوع في مكانه لم يقع عبثا و لم يصنع باطلا فإذا فسر القضاء في أفعال الله تعالى و القدر بما شرحناه زالت الشنعة منه و ثبتت الحجة به و وضح الحق فيه لذوي العقول و لم يلحقه فساد و لا إخلال

[٥٧]

تفسير أخبار القضاء و القدر

فأما الأخبار التي رواها أبو جعفر رحمه الله في النهي عن الكلام في القضاء و القدر فهي تحتمل وجهين أحدهما أن يكون النهي خاصا بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم و يضلهم عن الدين و لا يصلحهم في عبادتهم إلا الإمساك عنه و ترك الخوض فيه و لم يكن النهي عنه عاما لكافة المكلفين و قد يصلح بعض الناس بشيء يفسد به آخرون و يفسد بعضهم بشيء يصلح به آخرون فدبر الأئمة (عليه السلام) أشياعهم في الدين بحسب ما علموه من مصالحهم فيه .

و ثانيهما أن يكون النهي عن الكلام في القضاء و القدر النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالى و عن علله و أسبابه و عما أمر به و تعبد و عن القول في علل ذلك إذا كان طلب علل الخلق و الأمر محظورا لأن الله تعالى سترها عن أكثر خلقه أ لا ترى أنه لا يجوز لأحد أن يطلب لخلقه جميع ما خلق عللا مفصلات فيقول لم خلق كذا و كذا حتى يعد المخلوقات كلها و يحصيها و لا يجوز أن يقول لم أمر بكذا أو تعبد بكذا و نهى عن كذا إذ تعبده بذلك و أمره لما هو أعلم به

[٥٨]

من مصالح الخلق و لم يطلع أحدا من خلقه على تفصيل علل ما خلق و أمر به و تعبد و إن كان قد أعلم في الجملة أنه لم يخلق الخلق عبثا و إنما خلقهم للحكمة و المصلحة و دل على ذلك بالعقل و السمع .

فقال سبحانه وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ و قال أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً و قال إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ يعني بحق و وضعناه في موضعه و قال وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و قال فيما تعبد به لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ .

و قد يصح أن يكون الله تعالى خلق حيوانا بعينه لعلمه بأنه يؤمن عند خلقه كفار أو يتوب عند ذلك فساق أو ينتفع به مؤمنون أو يتعظ به ظالمون أو ينتفع المخلوق نفسه بذلك أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء و ذلك مغيب عنا و إن قطعنا في الجملة أن جميع ما صنع الله تعالى إنما صنعه لأغراض حكيمة و لم يصنعه عبثا و كذلك يجوز أن يكون تعبدنا بالصلاة لأنها تقربنا من طاعته و تبعدنا عن معصيته و تكون العبادة بها لطفا لكافة المتعبدين بها أو لبعضهم فلما خفيت هذه الوجوه و كانت مستورة عنا و لم يقع دليل على التفصيل فيها و إن كان العلم بأنها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في معنى القضاء و القدر إنما هو نهي عن طلب علل لها مفصلة فلم يكن نهيا عن

[٥٩]

الكلام في معنى القضاء و القدر

هذا إن سلمنا الأخبار التي رواها أبو جعفر رحمه الله .

فأما إن بطلت أو اختل سندها فقد سقط عنا عهدة الكلام فيها .

و الحديث الذي رواه عن زرارة حديث صحيح من بين ما روى و المعنى فيه ظاهر ليس به على العقلاء خفاء و هو مؤيد للقول بالعدل و دال على فساد القول بالجبر أ لا ترى إلى :

ما رواه عن أبي عبد الله (عليه السلام) من قوله إذا حشر الله تعالى الخلائق سألهم عما عهد إليهم و لم يسألهم عما قضى عليهم

و قد نطق القرآن بأن الخلق مسئولون عن أعمالهم فلو كانت أعمالهم بقضاء الله تعالى لما سألهم عنها فدل على أن قضاء الله تعالى ما خلقه من ذوات العباد و فيهم و أنه تعالى لا يسألهم إلا عن أعمالهم التي عهد إليهم فيها فأمرهم بحسنها و نهاهم عن قبيحها و هذا الحديث موضح لمعنى القضاء و القدر فلا وجه للقول حينئذ بأنه لا معنى للقضاء و القدر معقول إذ كان بينا حسبما ذكرناه

[٦٠]

معنى فطرة الله

قال أبو جعفر رحمه الله في معنى الفطرة إن الله تعالى فطر جميع الخلق على التوحيد .

قال الشيخ المفيد رحمه الله ذكر أبو جعفر رحمه الله الفطرة و لم يبين معناها و أورد الحديث على وجهه و لم يذكر فائدته و المعنى في قوله (عليه السلام) فطر الله الخلق أي ابتدأهم بالحدوث و الفطرة هي الخلق .

قال الله تعالى الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يريد به خالق السماوات و الأرض على الابتداء و الاستقبال و قال فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها يعني خلقته التي خلق الناس عليها و هو معنى

قول الصادق (عليه السلام) فطر الله الخلق على التوحيد

أي خلقهم للتوحيد و على أن يوحدوه و ليس

[٦١]

المراد به أنه أراد منهم التوحيد و لو كان الأمر كذلك ما كان مخلوق إلا موحدا و في وجودنا من المخلوقين من لا يوحد الله تعالى دليل على أنه لم يخلق التوحيد في الخلق بل خلقهم ليكتسبوا التوحيد .

و قد قال تعالى في شاهد ما ذكرناه وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فبين أنه إنما خلقهم لعبادته .

و قد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) رواية تلقاها العامة و الخاصة بالقبول

قال كل مولود يولد فهو على الفطرة و إنما أبواه يهودانه أو ينصرانه .

و هذا أيضا مبين عن صحة ما قدمناه من أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه و فطرهم ليوحدوه و إنما أتى الضالون من قبل أنفسهم و من أضلهم من الجن و الإنس دون الله

[٦٢]

تعالى و الذي أورده أبو جعفر في بيان الله الخلق و هدايتهم إلى الرشد على ما ذكر و قد أصاب في ذلك و سلك الطريقة المثلى فيه و قال ما يقتضيه العدل و يدل عليه العقل و هو خلاف مذهب المجبرة الرادين على الله فيما قال و المخالفين في أقوالهم دلائل العقول

[٦٣]

فصل في معنى الاستطاعة :

قال أبو جعفر رحمه الله في الاستطاعة اعتقادنا في ذلك

ما روي عن موسى بن جعفر (عليه السلام) من أن العبد لا يكون مستطيعا إلا بأربع خصال إلى آخره

قال أبو عبد الله الذي رواه أبو جعفر عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في الاستطاعة حديث شاذ و الاستطاعة في الحقيقة هي الصحة و السلامة فكل صحيح فهو مستطيع و إنما يعجز الإنسان و يخرج عن الاستطاعة بخروجه عن الصحة و قد يكون مستطيعا للفعل من لا يجد آلة له و يكون مستطيعا ممنوعا من الفعل و المنع لا يضاد الاستطاعة و إنما يضاد الفعل و لذلك يكون الإنسان مستطيعا للنكاح و هو لا يجد امرأة ينكحها .

و قد قال الله تعالى وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَناتِ الْمُؤْمِناتِ فبين أن الإنسان يكون مستطيعا للنكاح و هو غير ناكح و يكون مستطيعا للحج قبل أن يحج و مستطيعا للخروج قبل أن يخرج .

[٦٤]

قال الله تعالى وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ فخبر أنهم كانوا مستطيعين للخروج فلم يخرجوا .

و قال سبحانه وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا فأوجب الحج على الناس و الاستطاعة قبل الحج فكيف ظن أبو جعفر أن من شرط الاستطاعة للزنا وجود المزني بها و قد بينا أن الإنسان يستطيع ذلك مع فقد المرأة و تعذر وجودها و إن ثبت الخبر الذي رواه أبو جعفر رحمه الله فالمراد بالاستطاعة فيه التيسير للفعل و تسهيل سبيله و ليس عدم السبيل موجبا لعدم الاستطاعة لما قدمناه من وجود الاستطاعة مع المنع و هذا باب إن بسطناه طال القول فيه و فيما أثبتناه من معناه كفاية لمن اعتبره

[٦٥]

فصل في معنى البداء :

قال أبو جعفر رحمه الله اعتقادنا في البداء إلى آخره قال أبو عبد الله قول الإمامية في البداء طريقه السمع دون العقل و قد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى (عليه السلام) و الأصل في البداء هو الظهور .

قال الله تعالى وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ يعني به ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسبانهم و تقديرهم و قال وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ حاقَ بِهِمْ يعني ظهر لهم جزاء كسبهم و بان لهم ذلك و تقول العرب قد بدا لفلان عمل حسن و بدا له كلام فصيح كما يقولون بدا من فلان كذا فيجعلون اللام قائمة مقامه فالمعنى في قول الإمامية بدا لله في كذا أي ظهر له فيه و معنى ظهر فيه أي ظهر منه و ليس المراد منه تعقب الرأي و وضوح أمر كان قد خفي عنه و جميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه

[٦٦]

بعد أن لم تكن فهي معلومة له فيما لم يزل و إنما يوصف منها بالبداء ما لم يكن في الاحتساب ظهوره و لا في غالب الظن وقوعه فأما ما علم كونه و غلب في الظن حصوله فلا يستعمل فيه لفظ البداء .

و قول أبي عبد الله (عليه السلام) ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل

فإنما أراد به ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه و قد كان مخوفا عليه من ذلك مظنونا به فلطف له في دفعه عنه .

و قد جاء الخبر بذلك عن الصادق (عليه السلام) فروي عنه أنه قال كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه

و قد يكون الشيء مكتوبا بشرط فيتغير الحال فيه .

قال الله تعالى ثُمَّ قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ .

فتبين أن الآجال على ضربين ضرب منها مشترط يصح فيه الزيادة و النقصان أ لا ترى إلى قوله تعالى وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتابٍ و قوله تعالى وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ فبين أن آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبر و الانقطاع بالفسوق .

و قال تعالى فيما خبر به عن نوح في خطابه لقومه

[٦٧]

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً إلى آخر الآيات .

فاشترط لهم في مد الأجل و سبوغ النعم الاستغفار فلما لم يفعلوه قطع آجالهم و بتر أعمارهم و استأصلهم بالعذاب فالبداء من الله تعالى يختص ما كان مشترطا في التقدير و ليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة و لا من تعقب الرأي تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا .

و قد قال بعض أصحابنا إن لفظ البداء أطلق في أصل اللغة على تعقب الرأي و الانتقال من عزيمة إلى عزيمة و إنما أطلق على الله تعالى على وجه الاستعارة كما يطلق عليه الغضب و الرضا مجازا غير حقيقة و إن هذا القول لم يضر بالمذهب إذ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد به السمع و قد ورد السمع بالبداء على ما بينا و الذي اعتمدناه في معنى البداء أنه الظهور على ما قدمت القول في معناه فهو خاص فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه يبعد في النظر دون المعتاد إذ لو كان في كل واقع من أفعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفا بالبداء في كل أفعاله و ذلك باطل بالاتفاق

[٦٨]

فصل في النهي عن الجدال :

قال أبو جعفر في الجدال الجدال في الله منهي عنه لأنه يؤدي ما لا يليق به .

و روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال يهلك أهل الكلام و ينجو المسلمون

قال أبو عبد الله الشيخ المفيد رحمه الله الجدال على ضربين أحدهما بالحق و الآخر بالباطل فالحق منه مأمور به و مرغب فيه و الباطل منه منهي عنه و مزجور عن استعماله .

قال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فأمر بجدال المخالفين و هو الحجاج لهم إذ كان جدال النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) حقا و قال تعالى لكافة المسلمين وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فأطلق لهم

[٦٩]

جدال أهل الكتاب بالحسن و نهاهم عن جدالهم بالقبيح .

و حكى سبحانه عن قوم نوح (عليه السلام) ما قالوه في جدالهم فقال سبحانه قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فلو كان الجدال كله باطلا لما أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) به و لا استعمله الأنبياء (عليه السلام) من قبله و لا إذن للمسلمين فيه .

فأما الجدال بالباطل فقد بين الله تبارك و تعالى عنه في قوله أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ فذم المجادلين في آيات الله لدفعها أو قدحها و إيقاع الشبهة في حقها .

و قد ذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم (عليه السلام) أنه حاج كافرا في الله تعالى فقال أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ الآية و قال مخبرا عن حجاجه قومه وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ .

و قال سبحانه آمرا لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) بمحاجة مخالفيه قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا .

[٧٠]

و قال عز اسمه كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ الآية و قال لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ الآية و ما زالت الأئمة (عليه السلام) يناظرون في دين الله سبحانه و يحتجون على

أعداء الله تعالى و كان شيوخ أصحابهم في كل عصر يستعملون النظر و يعتمدون الحجاج و يجادلون بالحق و يدمغون الباطل بالحجج و البراهين و كان الأئمة (عليه السلام) يحمدونهم على ذلك و يمدحونهم و يثنون عليهم بفضل .

و قد ذكر الكليني ره في كتاب الكافي و هو من أجل كتب الشيعة و أكثرها فائدة

حديث يونس بن يعقوب مع أبي عبد الله (عليه السلام) حين ورد عليه الشامي لمناظرته فقال له أبو عبد الله (عليه السلام) وددت أنك يا يونس كنت تحسن الكلام فقال له يونس جعلت فداك سمعتك تنهى عن الكلام و تقول ويل لأهل الكلام يقولون هذا ينقاد و هذا لا ينقاد و هذا ينساق و هذا لا ينساق و هذا نعقله و هذا لا نعقله فقال أبو عبد الله (عليه السلام) إنما قلت ويل لهم إذا تركوا قولي و صاروا إلى خلافه ثم دعا حمران بن أعين و محمد بن الطيار و هشام بن سالم و قيس الماصر فتكلموا بحضرته و تكلم هشام بعدهم فأثنى عليه و مدحه و قال له

مثلك من يكلم الناس

و قال (عليه السلام) و قد بلغه موت الطيار رحم الله الطيار و لقاه نضرة و سرورا فلقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت

و قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) لمحمد بن حكيم كلم الناس و بين لهم الحق الذي أنت عليه و بين لهم الضلالة التي هم عليها

و قال أبو عبد الله (عليه السلام) لبعض أصحابنا حاجوا الناس بكلامي فإن حجوكم فأنا المحجوج

و قال لهشام بن الحكم و قد سأله عن أسماء الله تعالى و اشتقاقها فأجابه عن ذلك ثم قال له بعد الجواب أ فهمت يا هشام فهما تدفع به أعداءنا الملحدين في دين الله و تبطل شبهاتهم فقال هشام نعم فقال له وفقك الله

و قال (عليه السلام) لطائفة من أصحابه بينوا للناس الهدى الذي أنتم عليه و بينوا لهم ضلالهم الذي هم عليه و باهلوهم في علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأمر بالكلام و دعا إليه و حث عليه

و روي عنه (عليه السلام) أنه نهى رجلا عن الكلام و أمر آخر به فقال له بعض أصحابه جعلت فداك نهيت فلانا عن الكلام و أمرت هذا به فقال هذا أبصر بالحجج و أرفق منه

فثبت أن نهي الصادقين (عليه السلام) عن الكلام إنما كان لطائفة بعينها لا تحسنه و لا تهتدي إلى طرقه و كان الكلام يفسدها و الأمر لطائفة أخرى به لأنها تحسنه و تعرف طرقه و سبله .

فأما النهي عن الكلام في الله عز و جل فإنما يختص بالنهي عن الكلام في

تشبيهه بخلقه و تجويره في حكمه .

و أما الكلام في توحيده و نفي التشبيه عنه و التنزيه له و التقديس فمأمور به و مرغب فيه و قد جاءت بذلك آثار كثيرة و أخبار متظافرة و أثبت في كتابي الأركان في دعائم الدين منها جملة كافية و في كتابي الكامل في علوم الدين منها بابا استوفيت القول في معانيه و في عقود الدين جملة منها من اعتمدها أغنت عما سواها و المتعاطي لإبطال النظر شاهد على نفسه بضعف الرأي و موضح عن قصوره عن المعرفة و نزوله عن مراتب

المستبصرين و النظر غير المناظرة و قد يصح النهي عن المناظرة للتقية و غير ذلك و لا يصح النهي عن النظر لأن في العدول عنه المصير إلى التقليد و التقليد مذموم باتفاق العلماء و نص القرآن و السنة .

قال الله تعالى ذاكرا لمقلدة من الكفار و ذاما لهم على تقليدهم إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ .

و قال الصادق (عليه السلام) من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال و من أخذ دينه من الكتاب و السنة زالت الجبال و لم يزل .

و قال (عليه السلام) إياكم و التقليد فإنه من قلد في دينه هلك إن الله تعالى يقول اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فلا و الله ما صلوا لهم

[٧٣]

و لا صاموا و لكنهم أحلوا لهم حراما و حرموا عليهم حلالا فقلدوهم في ذلك فعبدوهم و هم لا يشعرون .

و قال (عليه السلام) من أجاب ناطقا فقد عبده فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله و إن كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان .

فصل :

و لو كان التقليد صحيحا و النظر باطلا لم يكن التقليد لطائفة أولى من التقليد لأخرى و كان كل ضال بالتقليد معذورا و كل مقلد لمبدع غير موزور و هذا ما لا يقوله أحد فعلم بما ذكرناه أن النظر هو الحق و المناظرة بالحق صحيحة و أن الأخبار التي رواها أبو جعفر رحمه الله وجوهها ما ذكرناه و ليس الأمر في معانيها على ما تخيله فيها و الله ولي التوفيق

[٧٤]

فصل في اللوح و القلم :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله اعتقادنا في اللوح و القلم أنهما ملكان .

قال الشيخ المفيد رحمه الله اللوح كتاب الله تعالى كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة و هو قوله تعالى يوضحه وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ فاللوح هو الذكر و القلم هو الشيء الذي أحدث الله به الكتابة في اللوح و جعل اللوح أصلا ليعرف الملائكة (عليه السلام) منه ما يكون من غيب أو وحي فإذا أراد الله تعالى أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الأنبياء (عليه السلام) بذلك أمرهم بالاطلاع في اللوح فحفظوا منه ما يؤدونه إلى من أرسلوا إليه و عرفوا منه ما يعملون و قد جاءت بذلك آثار عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) و عن الأئمة (عليه السلام) .

فأما من ذهب إلى أن اللوح و القلم ملكان فقد أبعد بذلك و نأى به عن الحق إذ الملائكة لا تسمى ألواحا و لا أقلاما و لا يعرف في اللغة اسم ملك و لا بشر لوح و لا قلم

[٧٥]

فصل في معنى العرش :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله اعتقادنا في العرش أنه حملة جميع الخلق و العرش في وجه آخر هو العلم إلى آخره .

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد رحمه الله العرش في اللغة هو الملك قال الشاعر بذلك :

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم *** و أودت كما أودت أياد و حمير

يريد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم و بادوا .

و قال آخر :

أ ظننت عرشك *** لا يزول و لا يغير

يعني أ ظننت ملكك لا يزول و لا يغير.

و قال الله تعالى مخبرا عن واصفي ملك ملكة سبإ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ

[٧٦]

يريدون لها ملك عظيم فعرش الله تعالى هو ملكه و استواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك و العرب تصف الاستيلاء بالاستواء قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف و دم مهراق

يريد به قد استولى على العراق فأما العرش الذي تحمله الملائكة

[٧٧]

فهو بعض الملك و هو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة و تعبد الملائكة (عليه السلام) بحمله و تعظيمه كما خلق سبحانه بيتا في الأرض و أمر البشر بقصده و زيارته و الحج إليه و تعظيمه و قد جاء في الحديث أن الله تعالى خلق بيتا تحت

[٧٨]

العرش سماه البيت المعمور تحجه الملائكة في كل عام و خلق في السماء الرابعة بيتا سماه الضراح و تعبد الملائكة بحجه و التعظيم له و الطواف حوله و خلق البيت الحرام في الأرض و جعله تحت الضراح .

و روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال لو ألقي حجر من العرش لوقع على ظهر البيت المعمور و لو ألقي حجر من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام و لم يخلق الله عرشا لنفسه ليستوطنه تعالى الله عن ذلك لكنه خلق عرشا أضافه إلى نفسه تكرمة له و إعظاما و تعبد الملائكة بحمله كما خلق بيتا في الأرض و لم يخلقه لنفسه و لا ليسكنه تعالى الله عن ذلك كله لكنه خلقه لخلقه و أضافه لنفسه إكراما له و إعظاما و تعبد الخلق بزيارته و الحج إليه .

فأما الوصف للعلم بالعرش فهو في مجاز اللغة دون حقيقتها و لا وجه لتأويل قوله تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى بمعنى أنه احتوى على العلم و إنما الوجه في ذلك ما قدمناه .

و الأحاديث التي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد و روايات أفراد لا يجوز القطع بها و لا العمل عليها و الوجه الوقوف عندها و القطع على أن العرش في الأصل هو الملك و العرش المحمول جزء من الملك تعبد الله بحمله الملائكة على ما قدمناه

[٧٩]

فصل في النفوس و الأرواح :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله اعتقادنا في النفوس أنها هي الأرواح و أنها الخلق الأول و أنها خلقت للبقاء و أنها في الأرض غريبة و في الأبدان مسجونة .

قال الشيخ أبو عبد الله كلام أبي جعفر في النفس و الروح على مذهب الحدس دون التحقيق و لو اقتصر على الأخبار و لم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه .

قال الشيخ أبو عبد الله النفس عبارة عن معان أحدها ذات الشيء و الثاني الدم السائل و الثالث النفس الذي هو الهواء و الرابع الهوى و ميل الطبع .

فأما شاهد المعنى الأول فهو قولهم هذا نفس الشيء أي ذاته و عينه

[٨٠]

و شاهد الثاني قولهم كلما كانت له نفس سائلة فحكمه كذا و كذا و شاهد الثالث قولهم فلانٍ هلكت نفسه إذا انقطع نفسه و لم يبق في جسمه هواء يخرج من جوانبه و شاهد الرابع قولِ الله تعالى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ يعني الهوى داع إلى القبيح و قد يعبر بالنفس عن النقم قال الله تعالى وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ يريد به نقمه و عقابه

فصل :

قال الشيخ المفيد و أما الروح فعبارة عن معان أحدها الحياة و الثاني القرآن و الثالث ملك من ملائكة الله تعالى و الرابع جبرئيل (عليه السلام) .

فشاهد الأول قولهم كل ذي روح فحكمه كذا و كذا يريدون كل ذي حياة و قولهم في من مات قد خرجت منه الروح يعنون به الحياة و قولهم في الجنين صورة لم تلجه الروح يريدون لم تلجه الحياة .

و شاهد الثاني قوله تعالى وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا يعني به القرآن .

و شاهد الثالث قوله تعالى يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ الآية .

و شاهد الرابع قوله تعالى قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ يعني جبرئيل (عليه السلام) .

فأما ما ذكره الشيخ أبو جعفر و رواه أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفي

[٨١]

عام فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف فهو حديث من أحاديث الآحاد و خبر من طرق الأفراد و له وجه غير ما ظنه من لا علم له بحقائق الأشياء و هو أن الله تعالى خلق الملائكة قبل البشر بألفي عام فما تعارف منها قبل خلق البشر ائتلف عند خلق البشر و ما لم يتعارف منها إذ ذاك اختلف بعد خلق البشر و ليس الأمر كما ظنه أصحاب التناسخ و دخلت الشبهة فيه على حشوية

[٨٢]

الشيعة فتوهموا أن الذوات الفعالة المأمورة و المنهية كانت مخلوقة في الذر

[٨٣]

تتعارف و تعقل و تفهم و تنطق ثم خلق الله لها أجسادا من بعد ذلك

[٨٤]

فركبها فيها و لو كان ذلك كذلك لكنا نعرف نحن ما كنا عليه و إذا

[٨٥]

ذكرنا به ذكرناه و لا يخفى علينا الحال فيه أ لا ترى أن من نشأ ببلد من البلاد

[٨٦]

فأقام فيه حولا ثم انتقل إلى غيره لم يذهب عنه علم ذلك و إن خفي عليه لسهوه عنه فذكر به ذكره و لو لا أن الأمر كذلك لجاز أن يولد إنسان منا ببغداد و ينشأ بها و يقيم عشرين سنة فيها ثم ينتقل إلى مصر آخر فينسى حاله ببغداد و لا يذكر منها شيئا و إن ذكر به و عدد عليه علامات حاله و مكانه و نشوئه أنكرها و هذا ما لا يذهب إليه عاقل و كذا ما كان ينبغي لمن لا معرفة له بحقائق الأمور

[٨٧]

أن يتكلم فيها على خبط عشواء و الذي صرح به أبو جعفر رحمه الله في معنى الروح و النفس هو قول التناسخية بعينه من غير أن يعلم أنه قولهم فالجناية بذلك على نفسه و على غيره عظيمة .

فأما ما ذكره من أن الأنفس باقية فعبارة مذمومة و لفظ يضاد ألفاظ القرآن .

قال الله تعالى كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ و الذي حكاه من ذلك و توهمه هو مذهب كثير من الفلاسفة الملحدين الذين زعموا أن الأنفس لا يلحقها الكون و الفساد و أنها باقية و إنما تفنى و تفسد الأجسام المركبة و إلى هذا ذهب بعض أصحاب التناسخ

[٨٨]

و زعموا أن الأنفس لم تزل تتكرر في الصور و الهياكل لم تحدث و لم تفن و لن تعدم و أنها باقية غير فانية و هذا من أخبث قول و أبعده من الصواب و بما دونه في الشناعة و الفساد شنع به الناصبة على الشيعة و نسبوهم إلى الزندقة و لو عرف مثبته ما فيه لما تعرض له لكن أصحابنا المتعلقين بالأخبار أصحاب سلامة و بعد ذهن و قلة فطنة يمرون على وجوههم فيما سمعوه من الأحاديث و لا ينظرون في سندها و لا يفرقون بين حقها و باطلها و لا يفهمون ما يدخل عليهم في إثباتها و لا يحصلون معاني ما يطلقونه منها .

و الذي ثبت من الحديث في هذا الباب أن الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين منها ما ينقل إلى الثواب و العقاب و منها ما يبطل فلا يشعر بثواب و لا عقاب .

و قد روي عن الصادق (عليه السلام) ما ذكرناه في هذا المعنى و بيناه فسئل عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه

فقال (عليه السلام) من

[٨٩]

مات و هو ماحض للإيمان محضا أو ماحض للكفر محضا نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة و جوزي بأعماله إلى يوم القيامة فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه و رد روحه إلى جسده و حشره ليوفيه أعماله فالمؤمن تنتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة فيجعل في جنة من جنان الله يتنعم فيها إلى يوم المآب و الكافر تنتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه فتجعل في نار فيعذب بها إلى يوم القيامة

و شاهد ذلك في المؤمن قوله تعالى قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي و شاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ فأخبر سبحانه أن مؤمنا قال بعد موته و قد أدخل الجنة يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ و أخبر أن كافرا يعذب بعد موته غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة يخلد في النار .

و الضرب الآخر من يلهى عنه و تعدم نفسه عند فساد جسمه فلا يشعر بشيء حتى يبعث و هو من لم يمحض الإيمان محضا و لا الكفر محضا .

و قد بين الله تعالى ذلك عند قوله إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً فبين أن قوما عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن

[٩٠]

بعضهم أن ذلك كان عشرا و يظن بعضهم أن ذلك كان يوما و ليس يجوز أن يكون ذلك عن وصف من عذب إلى بعثه أو نعم إلى بعثه لأن من لم يزل منعما أو معذبا لا يجهل عليه حاله فيما عومل به و لا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته .

و قد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا فأما ما سوى هذين فإنه يلهى عنه

و قال في الرجعة إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا فأما ما سوى هذين فلا رجوع لهم إلى يوم المآب

[٩١]

و قد اختلف أصحابنا رضي الله عنهم فيمن ينعم و يعذب بعد موته فقال بعضهم المعذب و المنعم هو الروح التي توجه إليها الأمر و النهي و التكليف و سموها جوهرا و قال آخرون بل الروح الحياة جعلت في جسد كجسده في دار الدنيا و كلا الأمرين يجوزان في العقل و الأظهر عندي قول من قال إنها الجوهر المخاطب و هو الذي يسميه الفلاسفة البسيط .

و قد جاء في الحديث أن الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلّم) خاصة و الأئمة (عليه السلام) من بعدهم ينقلون بأجسادهم و أرواحهم من الأرض إلى السماء فيتنعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا

و هذا خاص بحجج الله تعالى دون من سواهم من الناس .

و قد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال من صلى علي عند قبري سمعته و من صلى علي من بعيد بلغته

و قال (صلى الله عليه وآله وسلّم) من صلى علي مرة صليت عليه عشرا و من صلى علي عشرا صليت عليه مائة فليكثر امرؤ منكم الصلاة علي أو فليقل

فبين أنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه و لا يكون كذلك إلا و هو حي عند الله تعالى و كذلك أئمة الهدى (عليه السلام) يسمعون سلام المسلم عليهم من قرب و يبلغهم سلامه من بعد و بذلك جاءت الآثار الصادقة

[۹۲]

عنهم (عليه السلام) .

و قد قال الله تعالى وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ الآية

و روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنه وقف على قليب بدر فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذ و قد ألقوا في القليب لقد كنتم جيران سوء لرسول الله أخرجتموه من منزله و طردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه فقد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقال له عمر يا رسول الله ما خطابك لهام قد صديت فقال له مه يا ابن الخطاب فو الله ما أنت بأسمع منهم و ما بينهم و بين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد إلا أن أعرض بوجهي هكذا عنهم

[۹۳]

و عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة فصار يتخلل بين الصفوف حتى مر على كعب بن سورة و كان هذا قاضي البصرة ولاه إياها عمر بن الخطاب فأقام بها قاضيا بين أهلها زمن عمر و عثمان فلما وقعت الفتنة بالبصرة علق في عنقه مصحفا و خرج بأهله و ولده يقاتل أمير المؤمنين فقتلوا بأجمعهم فوقف عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) و هو صريع بين القتلى فقال أجلسوا كعب بن سورة فأجلس بين نفسين و قال له يا كعب بن سورة قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال أضجعوا كعبا و سار قليلا فمر بطلحة بن عبد الله صريعا فقال أجلسوا طلحة فأجلسوه فقال يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدت ما وعدك ربك حقا ثم قال أضجعوا طلحة فقال له رجل من أصحابه يا أمير المؤمنين ما كلامك لقتيلين لا يسمعان منك فقال مه يا رجل فو الله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)

و هذا من الأخبار الدالة على أن بعض من يموت ترد إليه روحه لتنعيمه أو لتعذيبه و ليس ذلك بعام في كل من يموت بل هو على ما بيناه

[۹٤]

فصل فيما وصف به الشيخ أبو جعفر الموت :

قال أبو جعفر باب الموت قيل لأمير المؤمنين إلى آخره .

قال الشيخ أبو عبد الله ترجم الباب بالموت و ذكر غيره و قد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت أو يترجم الباب بمآل الموت و عاقبة الأموات فالموت هو يضاد الحياة يبطل معه النمو و يستحيل معه الإحساس و هو محل الحياة فينفيها و هو من فعل الله تعالى و ليس لأحد فيه صنع و لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى .

قال الله سبحانه هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فأضاف الإحياء إلى نفسه و أضاف الإماتة إليها .

و قال سبحانه الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فالحياة ما كان بها النمو و الإحساس و تصح معها القدرة و العلم و الموت ما

[٩٥]

استحال معه النمو و الإحساس و لم تصح معه القدرة و العلم و فعل الله تعالى الموت بالأحياء لينقلهم من دار العمل و الامتحان إلى دار الجزاء و المكافأة و ليس يميت الله عبدا من عبيده إلا و إماتته أصلح له من بقائه و لا يحييه إلا و حياته أصلح له من موته و كل ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم و أصوب في التدبير .

و قد يمتحن الله تعالى كثيرا من خلقه بالآلام الشديدة قبل الموت و يعفي آخرين من ذلك و قد يكون الألم المتقدم للموت ضربا من العقوبة لمن حل به و يكون استصلاحا له و لغيره و يعقبه نفعا عظيما و عوضا كثيرا و ليس كل من صعب عليه خروج نفسه كان بذلك معاقبا و لا كل من سهل عليه الأمر في ذلك كان به مكرما مثابا .

و قد ورد الخبر بأن الآلام التي تتقدم الموت تكون كفارات لذنوب المؤمنين و تكون عقابا للكافرين و تكون الراحة قبل الموت استدراجا للكافرين و ضربا من ثواب المؤمنين و هذا أمر مغيب عن الخلق لم يظهر الله تعالى أحدا من خلقه على إرادته فيه تنبيها له حتى يتميز له حال الامتحان من حال

[٩٦]

العقاب و حال الثواب من حال الاستدراج و تغليظا للمحنة ليتم التدبير الحكيم في الخلق .

فأما ما ذكره أبو جعفر من أحوال الموتى بعد وفاتهم فقد جاءت الآثار به على التفصيل .

و قد أورد بعض ما جاء في ذلك إلا أنه ليس مما ترجم به الباب في شيء و الموت على كل حال أحد بشارات المؤمن إذ كان أول طرقه إلى محل النعيم و به يصل ثواب الأعمال الجميلة في الدنيا و هو أول شدة تلحق الكافر من شدائد العذاب و أول طرقه إلى حلول العقاب إذ كان الله تعالى جعل الجزاء على الأعمال بعده و صيره سببا لنقله من دار التكليف إلى دار الجزاء و حال المؤمن بعد موته أحسن من حاله قبله و حال الكافر بعد مماته أسوأ من حاله قبله إذ المؤمن صائر إلى جزائه بعد مماته و الكافر صائر إلى جزائه بعد مماته .

و قد جاء في الحديث عن آل محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين أنهم قالوا الدنيا سجن المؤمن و القبر بيته و الجنة مأواه و الدنيا جنة الكافر

[٩٧]

و القبر سجنه و النار مأواه

و روي عنهم (عليه السلام) أنهم قالوا الخير كله بعد الموت و الشر كله بعد الموت .

و لا حاجة بنا مع نص القرآن بالعواقب إلى الأخبار و مع شاهد العقول إلى الأحاديث .

و قد ذكر الله تعالى جزاء الصالحين فبينه و ذكر عقاب الفاسقين ففصله و في بيان الله سبحانه و تفصيله غنى عما سواه

[٩٨]

فصل في المساءلة في القبر :

قال أبو جعفر اعتقادنا في المساءلة في القبر أنها حق .

[٩٩]

قال أبو عبد الله الشيخ المفيد رضي الله عنه الذي ذكره أبو جعفر غير مفيد لما تصدق الحاجة إليه في المساءلة و الغرض منها و الذي يجب أن يذكر في هذا المعنى ما أنا مثبته إن شاء الله تعالى .

جاءت الآثار الصحيحة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم و ألفاظ الأخبار بذلك متقاربة فمنها أن ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر و نكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه و نبيه و دينه و إمامه فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم و إن ارتج عليه سلموه إلى ملائكة العذاب .

و قيل في بعض الأخبار إن اسمي الملكين اللذين ينزلان على الكافر ناكر و نكير و اسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر و بشير و قيل إنه إنما سمي ملكا الكافر ناكرا و نكيرا لأنه ينكر الحق و ينكر ما يأتيانه به و يكرهه و سمي ملكا المؤمن مبشرا و بشيرا لأنهما يبشرانه بالنعيم و يبشرانه من الله تعالى بالرضا و الثواب المقيم و أن هذين الاسمين ليسا بلقب لهما

[١٠٠]

و إنهما عبارة عن فعلهما .

و هذه أمور يتقارب بعضها من بعض و لا تستحيل معانيها و الله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر فيها و قد قلنا فيما سلف إنه إنما ينزل الملكان على من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا و من سوى هذين فيلهى عنه و بينا أن الخبر جاء بذلك فمن جهته قلنا فيه ما ذكرناه

فصل

و ليس ينزل الملكان إلا على حي و لا يسألان إلا من يفهم المساءلة و يعرف معناها و هذا يدل على أن الله تعالى يحيي العبد بعد موته للمساءلة و يديم حياته لنعيم إن كان يستحقه أو لعذاب إن كان يستحقه نعوذ بالله من سخطه و نسأله التوفيق لما يرضيه برحمته .

و الغرض من نزول الملكين و مساءلتهما العبد أن الله تعالى يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم أو ملائكة العذاب و ليس للملائكة طريق إلى علم ما يستحقه العبد إلا بإعلام الله تعالى ذلك لهم فالملكان اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم و الآخر من ملائكة العذاب فإذا هبطا لما وكلا به

[١٠١]

استفهما حال العبد بالمساءلة فإن أجاب بما يستحق به النعيم قام بذلك ملك النعيم و عرج عنه ملك العذاب و إن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب وكل به ملك العذاب و عرج عنه ملك النعيم .

و قد قيل إن الملائكة الموكلين بالنعيم و العذاب غير الملكين الموكلين بالمساءلة و إنما يعرف ملائكة النعيم و ملائكة العذاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المساءلة فإذا سألا العبد و ظهر منه ما يستحق به الجزاء تولى منه ذلك ملائكة الجزاء و عرج ملكا المساءلة إلى مكانهما من السماء و هذا كله جائز و لسنا نقطع بأحد دون صاحبه إذ الأخبار فيه متكافئة و العبارة لنا في معنى ما ذكرناه الوقف و التجويز

فصل :

و إنما وكل الله تعالى ملائكة المساءلة و ملائكة العذاب و النعيم بالخلق تعبدا لهم بذلك كما وكل الكتبة من الملائكة بحفظ أعمال الخلق و كتبها و نسخها و رفعها تعبدا لهم بذلك و كما تعبد طائفة من الملائكة بحفظ بني آدم و طائفة منهم بإهلاك الأمم و طائفة بحمل العرش و طائفة بالطواف حول

[١٠٢]

البيت المعمور و طائفة بالتسبيح و طائفة بالاستغفار للمؤمنين و طائفة بتنعيم أهل الجنة و طائفة بتعذيب أهل النار و تعبدهم بذلك ليثيبهم عليها و لم يتعبد الله الملائكة بذلك عبثا كما لم يتعبد البشر و الجن بما تبعدهم به لعبا بل تعبد الكل للجزاء و ما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه تعالى و التزامهم شكر النعمة عليهم .

و قد كان الله تعالى قادرا على أن يفعل العذاب بمستحقه من غير واسطة و ينعم المطيع من غير واسطة لكنه سبحانه علق ذلك على الوسائط لما ذكرناه و بينا وجه الحكمة فيه و وصفناه و طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السمع و طريق العلم برد الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل إذ لا يصح مساءلة الأموات و استخبار الجماد .

و إنما يحسن الكلام للحي العاقل لما يكلم به و تقريره و إلزامه بما يقدر عليه مع أنه قد جاء في الخبر أن كل مسائل ترد إليه الحياة عند مساءلته ليفهم ما يقال له فالخبر بذلك يؤكد ما في العقل و لو لم يرد بذلك خبر لكفى حجة العقل فيه على ما بيناه

[١٠٣]

فصل فيما ذكر الشيخ أبو جعفر في العدل :

قال أبو جعفر باب الاعتقاد في العدل إلى آخره .

قال الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه و الظلم هو منع الحقوق و الله تعالى عدل كريم جواد متفضل رحيم قد ضمن الجزاء على الأعمال و العوض على المبتدئ من الآلام و وعد التفضل بعد ذلك بزيادة من عنده .

فقال تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ الآية فخبر أن للمحسنين الثواب المستحق و زيادة من عنده و قال مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها يعني له عشر أمثال ما يستحق عليها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ يريد أنه لا يجازيه بأكثر مما يستحقه ثم ضمن بعد ذلك العفو و وعد بالغفران .

[١٠٤]

فقال سبحانه وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ و قال سبحانه إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ .

و قال سبحانه قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا و الحق الذي للعبد هو ما جعله الله تعالى حقا له و اقتضاه جود الله و كرمه و إن كان لو حاسبه بالعدل لم يكن له عليه بعد النعم التي أسلفها حق لأنه تعالى ابتدأ

خلقه بالنعم و أوجب عليهم بها الشكر و ليس أحد من الخلق يكافئ نعم الله تعالى عليه بعمل و لا يشكره أحد إلا و هو مقصر بالشكر عن حق النعمة .

و قد أجمع أهل القبلة على أن من قال إني وفيت جميع ما لله تعالى علي و كافأت نعمه بالشكر فهو ضال و أجمعوا على أنهم مقصرون عن حق الشكر و أن لله عليهم حقوقا لو مد في أعمارهم إلى آخر مدى الزمان لما وفوا لله سبحانه بما

[١٠٥]

له عليهم فدل ذلك على أن ما جعله حقا لهم فإنما جعله بفضله و جوده و كرمه .

و لأن حال العامل الشاكر بخلاف حال من لا عمل له في العقول و ذلك أن الشاكر يستحق في العقول الحمد و من لا عمل له فليس في العقول له حمد و إذا ثبت الفضل بين العامل و من لا عمل له كان ما يجب في العقول من حمده هو الذي يحكم عليه بحقه و يشار إليه بذلك و إذا أوجبت العقول له مزية على من لا عمل له كان العدل من الله تعالى معاملته بما جعله في العقول له حقا .

و قد أمر الله تعالى بالعدل و نهى عن الجور فقال تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ .

[١٠٦]

فصل في الأعراف :

قال أبو جعفر اعتقادنا في الأعراف أنه سور إلى آخره .

قال الشيخ المفيد رحمه الله قد قيل إن الأعراف جبل بين الجنة و النار و قيل أيضا إنه سور بين الجنة و النار و جملة الأمر في ذلك أنه مكان ليس من الجنة و لا من النار .

و قد جاء الخبر بما ذكرناه و أنه إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله و أمير المؤمنين و الأئمة من ذريته (صلى الله عليه وآله وسلّم) و هم الذين عنى الله سبحانه بقوله وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ و ذلك أن الله تعالى يعلمهم أصحاب الجنة و أصحاب النار بسيماء يجعلها عليهم و هي العلامات و قد بين ذلك في قوله تعالى يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ و يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ .

[١٠٧]

و قد قال الله تعالى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَ إِنَّها لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ فأخبر أن في خلقه طائفة يتوسمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم .

و روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في بعض كلامه أنا صاحب العصا و الميسم

يعني علمه بمن يعلم حاله بالتوسم .

و روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنه سئل عن قوله تعالى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ قال فينا نزلت أهل البيت

يعني في الأئمة (عليه السلام) .

و قد جاء الحديث بأن الله تعالى يسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقوا بأعمالهم الجنة على الثبات من غير عقاب و لا استحقوا الخلود في النار و هم المرجون لأمر الله و لهم الشفاعة و لا يزالون على الأعراف حتى يؤذن لهم في دخول الجنة بشفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) و أمير المؤمنين و الأئمة من بعده (عليه السلام) .

و قيل أيضا إنه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلفين فيستحقون بأعمالهم جنة و نارا فيسكنهم الله ذلك المكان و يعوضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون به منازل أهل الثواب المستحقين له بالأعمال و كل ما ذكرناه جائز في العقول .

و قد وردت به أخبار و الله أعلم بالحقيقة من ذلك إلا أن المقطوع به في جملته أن الأعراف مكان بين الجنة و النار يقف فيه من سميناه من حجج الله تعالى على خلقه و يكون به يوم القيامة قوم من المرجين لأمر الله و ما بعد ذلك فالله أعلم بالحال فيه

[١٠٨]

فصل في الصراط :

قال أبو جعفر اعتقادنا في الصراط أنه حق و أنه جسر .

قال الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله الصراط في اللغة هو الطريق فلذلك سمي الدين صراطا لأنه طريق إلى الصواب و له سمي الولاء لأمير المؤمنين و الأئمة من ذريته (عليه السلام) صراطا .

و من معناه

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) أنا صراط الله المستقيم و عروته الوثقى التي لا انفصام لها

يعني أن معرفته و التمسك به طريق إلى الله سبحانه .

و قد جاء الخبر بأن الطريق يوم القيامة إلى الجنة كالجسر يمر به الناس و هو الصراط الذي يقف عن يمينه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) و عن شماله أمير المؤمنين (عليه السلام) و يأتيهما النداء من قبل الله تعالى أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ و جاء الخبر أنه لا يعبر الصراط يوم القيامة إلا من كان معه براءة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) من النار .

[١٠٩]

و جاء الخبر بأن الصراط أدق من الشعرة و أحد من السيف على الكافر .

و المراد بذلك أنه لا تثبت لكافر قدم على الصراط يوم القيامة من شدة ما

[١١٠]

يلحقهم من أهوال يوم القيامة و مخاوفها فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة و أحد من السيف و هذا مثل مضروب لما يلحق الكافر من الشدة في عبوره على الصراط و هو طريق إلى الجنة و طريق إلى النار يشرف العبد منه إلى الجنة و يرى منه أهوال النار .

[١١١]

و قد يعبر به عن الطريق المعوج فلهذا قال الله تعالى وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فميز بين طريقه الذي دعي إلى سلوكه من الدين و بين طرق الضلال .

و قال الله تعالى فيما أمر به عباده من الدعاء و تلاوة القرآن اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ فدل على أن ما سواه صراط غير مستقيم .

و صراط الله تعالى دين الله و صراط الشيطان طريق العصيان و الصراط في الأصل على ما بيناه هو الطريق و الصراط يوم القيامة هو الطريق المسلوك إلى الجنة أو النار على ما قدمناه

[١١٢]

فصل في العقبات على طريق المحشر :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله في العقبات اسم كل عقبة اسم فرض أو أمر أو نهي .

قال الشيخ المفيد رحمه الله العقبات عبارة عن الأعمال الواجبات و المساءلة عنها و المواقفة عليها و ليس المراد بها جبال في الأرض تقطع و إنما هي الأعمال شبهت بالعقبات و جعل الوصف لما يلحق الإنسان في تخلصه من تقصيره في طاعة الله تعالى كالعقبة التي يجهد صعودها و قطعها .

قال الله تعالى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَ ما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ الآية فسمى سبحانه الأعمال التي كلفها العبد عقبات تشبيها لها بالعقبات و الجبال لما يلحق الإنسان في أدائها من المشاق كما يلحقه في صعود العقبات و قطعها .

[١١٣]

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إن أمامكم عقبة كئودا و منازل مهولة لا بد من الممر بها و الوقوف عليها فإما برحمة من الله نجوتم و إما بهلكة ليس بعدها انجبار

أراد (عليه السلام) بالعقبة تخلص الإنسان من التبعات التي عليه و ليس كما ظنه الحشوية من أن في الآخرة جبالا و عقبات يحتاج الإنسان إلى قطعها ماشيا و راكبا و ذلك لا معنى له فيما توجبه الحكمة من الجزاء و لا وجه لخلق عقبات تسمى بالصلاة و الزكاة و الصيام و الحج و غيرها من الفرائض يسأم الإنسان أن يصعدها فإن كان مقصرا في طاعة الله حال ذلك بينه و بين صعودها إذ كان الغرض في القيامة المواقفة على الأعمال و الجزاء عليها بالثواب و العقاب و ذلك غير مفتقر إلى تسمية عقبات و خلق جبال و تكليف قطع ذلك و تصعيبه أو تسهيله مع أنه لم يرد خبر صحيح بذلك على التفصيل فيعتمد عليه و تخرج له الوجوه و إذا لم يثبت بذلك خبر كان الأمر فيه ما ذكرناه

[١١٤]

فصل في الحساب و الموازين :

قال الشيخ أبو جعفر اعتقادنا في الحساب أنه حق .

قال الشيخ المفيد رحمه الله الحساب هو المقابلة بين الأعمال و الجزاء عليها و المواقفة للعبد على ما فرط منه و التوبيخ له على سيئاته و الحمد على حسناته و معاملته في ذلك باستحقاقه و ليس هو كما ذهبت العامة إليه من مقابلة الحسنات بالسيئات و الموازنة بينهما على حسب استحقاق الثواب و العقاب عليهما إذ كان التحابط بين الأعمال غير صحيح و مذهب المعتزلة فيه باطل غير ثابت و ما اعتمده الحشوية في معناه غير معقول .

و الموازين هي التعديل بين الأعمال و الجزاء عليها و وضع كل جزاء في موضعه و إيصال كل ذي حق إلى حقه فليس الأمر في معنى ذلك على ما ذهب إليه أهل الحشو من أن في القيامة موازين كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها إذ الأعمال أعراض و الأعراض لا يصح وزنها و إنما توصف بالثقل و الخفة على وجه المجاز و المراد بذلك أن ما ثقل منها هو ما

[١١٥]

كثر و استحق عليه عظيم الثواب و ما خف منها ما قل قدره و لم يستحق عليه جزيل الثواب .

و الخبر الوارد في أن أمير المؤمنين و الأئمة من ذريته (عليه السلام) هم الموازين فالمراد أنهم المعدلون بين الأعمال فيما يستحق عليها و الحاكمون فيها بالواجب و العدل و يقال فلان عندي في ميزان فلان و يراد به نظيره و يقال كلام فلان عندي أوزن من كلام فلان و المراد به أن كلامه أعظم و أفضل قدرا و الذي ذكره الله تعالى في الحساب و الخوف منه إنما هو المواقفة على الأعمال لأن من وقف على أعماله لم يتخلص من تبعاتها و من عفى الله تعالى عنه في ذلك فاز بالنجاة فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ بكثرة استحقاقه الثواب فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ بقلة أعمال الطاعات فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ و القرآن إنما أنزل بلغة العرب و حقيقة كلامها و مجازه و لم ينزل على ألفاظ العامة و ما سبق إلى قلوبها من الأباطيل

[١١٦]

فصل في الجنة و النار :

قال أبو جعفر اعتقادنا في الجنة أنها دار البقاء .

قال الشيخ المفيد رحمه الله الجنة دار النعيم لا يلحق من دخلها نصب و لا يلحقهم فيها لغوب و جعلها الله سبحانه دارا لمن عرفه و عبده و نعيمها دائم لا انقطاع له و الساكنون فيها على أضرب فمنهم من أخلص لله تعالى فذلك الذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى .

و منهم من خلط عمله الصالح بأعماله السيئة كان يسوف منها التوبة فاخترمته المنية قبل ذلك فلحقه خوف من العقاب في عاجله و آجله أو في عاجله دون آجله ثم سكن الجنة بعد عفو الله أو عقابه .

[١١٧]

و منهم من يتفضل عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا و هم الولدان المخلدون الذين جعل الله تعالى تصرفهم لحوائج أهل الجنة ثوابا للعاملين و ليس في تصرفهم مشاق عليهم و لا كلفة لأنهم مطبوعون إذ ذاك على المسار بتصرفهم في حوائج المؤمنين .

و ثواب أهل الجنة الالتذاذ بالمآكل و المشارب و المناظر و المناكح و ما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه و يدركون مرادهم بالظفر به و ليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكل و مشرب و ما تدركه الحواس من الملذوذات .

و قول من يزعم أن في الجنة بشرا يلتذ بالتسبيح و التقديس من دون الأكل و الشرب قول شاذ عن دين الإسلام و هو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون و لا يشربون و لا ينكحون .

و قد أكذب الله سبحانه هذا القول في كتابه بما رغب العاملين فيه من الأكل و الشرب و النكاح فقال تعالى أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا الآية و قال تعالى فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ الآية و قال تعالى

[١١٨]

حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ و قال تعالى وَ حُورٌ عِينٌ و قال سبحانه وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ و قال سبحانه وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ و قال سبحانه إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ الآية و قال سبحانه وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ .

فكيف استجاز من أثبت في الجنة طائفة من البشر لا يأكلون و لا يشربون و يتنعمون بما به الخلق من الأعمال يتألمون و كتاب الله تعالى شاهد بضد ذلك و الإجماع على خلافه لو لا أن قلد في ذلك من لا يجوز تقليده أو عمل

على حديث موضوع و أما النار فهي دار من جهل الله سبحانه و قد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى غير أنه لا يخلد فيها بل يخرج منها إلى النعيم المقيم و ليس يخلد فيها إلا الكافرون .

و قال تعالى فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى يريد بالصلي هاهنا الخلود فيها و قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً و قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ

[١١٩]

الآيتان و كل آية تتضمن ذكر الخلود في النار فإنما هي في الكفار دون أهل المعرفة بالله تعالى بدلائل العقول و الكتاب المسطور و الخبر الظاهر المشهور و الإجماع و الرأي السابق لأهل البدع من أصحاب الوعيد

حد التكفير

فصل :

و ليس يجوز أن يعرف الله تعالى من هو كافر به و لا يجهله من هو به مؤمن و كل كافر على أصولنا فهو جاهل بالله و من خالف أصول الإيمان من المصلين إلى قبلة الإسلام فهو عندنا جاهل بالله سبحانه و إن أظهر القول بتوحيده تعالى كما أن الكافر برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) جاهل بالله و إن كان فيهم من يعترف بتوحيد الله تعالى و يتظاهر بما يوهم المستضعفين أنه معرفة بالله تعالى .

و قد قال الله تعالى فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً فأخرج بذلك المؤمن عن أحكام الكافرين و قال تعالى فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ الآية فنفى عمن كفر بنبي الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) الإيمان و لم يثبت له مع الشك فيه المعرفة بالله على حال .

و قال سبحانه و تعالى قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إلى قوله وَ هُمْ صاغِرُونَ فنفى الإيمان عن اليهود و النصارى و حكم عليهم بالكفر و الضلال

[١٢٠]

فصل في كيفية نزول الوحي :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله في نزول الوحي اعتقادنا في ذلك أن بين عيني إسرافيل إلى آخره .

قال الشيخ المفيد رحمه الله هذا أخذه أبو جعفر رحمه الله من شواذ الحديث و فيه خلاف لما قدمه من أن اللوح ملك من ملائكة الله تعالى و أصل الوحي هو الكلام الخفي ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره و التخصيص له به دون من سواه و إذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل (صلى الله عليه وآله وسلّم) خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام و شريعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) .

[١٢١]

قال الله تعالى وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ الآية فاتفق أهل الإسلام على أن الوحي كان رؤيا مناما أو كلاما سمعته أم موسى في منامها على الاختصاص قال الله تعالى وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ الآية يريد به الإلهام الخفي إذ كان خاصا بمن أفرده به دون من سواه فكان علمه حاصلا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره .

و قال تعالى وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ بمعنى ليوسوسون إلى أوليائهم بما يلقونه من الكلام في أقصى أسماعهم فيخصون بعلمهم دون من سواهم و قال سبحانه فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ يريد به أشار إليهم من غير إفصاح الكلام شبه ذلك بالوحي لخفائه عمن سوى المخاطبين و لستره عمن سواهم .

و قد يري الله سبحانه و تعالى في المنام خلقا كثيرا ما يصح تأويله و يثبت حقه لكنه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحي و لا يقال في هذا الوقت لمن طبعه الله على علم شيء أنه يوحى إليه و عندنا أن الله تعالى يسمع الحجج بعد نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) كلاما يلقيه إليهم في علم ما يكون لكنه لا يطلق عليه اسم الوحي لما قدمناه من إجماع المسلمين على أنه لا وحي إلى أحد بعد

[١٢٢]

نبينا (صلى الله عليه وآله وسلّم) و أنه لا يقال في شيء مما ذكرناه أنه وحي إلى أحد و لله تعالى أن يبيح إطلاق الكلام أحيانا و يحظره أحيانا و يمنع السمات بشيء حينا و يطلقها حينا فأما المعاني فإنها لا تتغير عن حقائقها على ما قدمناه

فصل :

قال الشيخ المفيد رحمه الله تعالى فأما الوحي من الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقد كان تارة بإسماعه الكلام من غير واسطة و تارة بإسماعه الكلام على ألسن الملائكة و الذي ذكره أبو جعفر رحمه الله من اللوح و القلم و ما ثبت فيه فقد جاء به حديث إلا أنا لا نعزم على القول به و لا نقطع على الله بصحته و لا نشهد منه إلا بما علمناه و ليس الخبر به متواترا يقطع العذر و لا عليه إجماع و لا نطق به القرآن و لا ثبت عن حجة الله تعالى فينقاد له و الوجه أن نقف فيه و نجوزه و لا نقطع به و لا نجزم له و نجعله في حيز الممكن .

فأما قطع أبي جعفر به و علمه على اعتقاده فهو يستند إلى ضرب من التقليد و لسنا من التقليد في شيء

[١٢٣]

فصل في نزول القرآن :

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله إن القرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور ثم أنزل من البيت المعمور في مدت عشرين سنة إلى آخره .

قال الشيخ المفيد رحمه الله الذي ذهب إليه أبو جعفر في هذا الباب أصله حديث واحد لا يوجب علما و لا عملا و نزول القرآن على الأسباب الحادثة حالا بحال يدل على خلاف ما تضمنه الحديث و ذلك أنه قد تضمن حكم ما حدث و ذكر ما جرى على وجهه و ذلك لا يكون على الحقيقة إلا

[١٢٤]

لحدوثه عند السبب أ لا ترى إلى قوله تعالى وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ و قوله وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ و هذا خبر عن ماض و لا يجوز أن يتقدم مخبره فيكون حينئذ جزاء عن ماض و هو لم يقع بل هو في المستقبل و أمثال ذلك في القرآن كثيرة .

و قد جاء الخبر بذكر الظهار و سببه و أنها لما جادلت النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في ذكر الظهار أنزل الله تعالى قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها و هذه قصة كانت بالمدينة فكيف ينزل الله تعالى الوحي بها بمكة قبل الهجرة فيخبر بها أنها قد كانت و لم تكن و لو تتبعنا قصص القرآن لجاء مما ذكرناه كثير لا يتسع به

المقال و فيما ذكرناه منه كفاية لذوي الألباب و ما أشبهه ما جاء به الحديث بمذهب المشبهة الذين زعموا أن الله سبحانه و تعالى لم يزل متكلما بالقرآن و مخبرا عما يكون بلفظ كان و قد رد عليهم أهل التوحيد بنحو ما ذكرناه .

و قد يجوز في الخبر الوارد في نزول القرآن جملة في ليلة القدر بأن المراد أنه نزل جملة منه في ليلة القدر ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) فأما أن يكون نزل بأسره و جميعه في ليلة القدر فهو بعيد مما يقتضيه ظاهر القرآن و المتواتر من الأخبار و إجماع العلماء على اختلافهم في الآراء

[١٢٥]

فصل :

فأما قوله تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ففيه وجهان غير ما ذكره أبو جعفر و عول فيه على حديث شاذ .

أحدهما أن الله تعالى نهاه عن التسرع إلى تأويل القرآن قبل الوحي إليه به و إن كان في الإمكان من جهة اللغة ما قالوه على مذهب أهل اللسان .

و الوجه الآخر أن جبرئيل (عليه السلام) كان يوحي إليه بالقرآن فيتلوه معه

[١٢٦]

حرفا بحرف فأمره الله تعالى أن لا يفعل ذلك و يصغى إلى ما يأتيه به جبرئيل أو ينزله الله تعالى عليه بغير واسطة حتى يحصل الفراغ منه فإذا تم الوحي به تلاه و نطق به و قرأه .

فأما ما ذكره المعول على الحديث من التأويل فبعيد لأنه لا وجه لنهي الله

[١٢٧]

تعالى له عن العجلة بالقرآن الذي هو في السماء الرابعة حتى يقضى إليه وحيه لأنه لم يكن محيطا علما بما في السماء الرابعة قبل الوحي به إليه فلا معنى لنهيه عما ليس في إمكانه اللهم إلا أن يقول قائل ذلك إنه كان محيطا علما بالقرآن المودع في السماء الرابعة فينتقض كلامه و مذهبه لأنه كان في السماء الرابعة لأن ما في صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) و حفظه في الأرض فلا معنى لاختصاصه بالسماء و لو كان ما في حفظ رسول الله يوصف بأنه في السماء الرابعة خاصة لكان ما في حفظ غيره موصوفا بذلك و لا وجه يكون حينئذ لإضافته إلى السماء الرابعة و لا إلى السماء الأولى فضلا عن السماء الرابعة و من تأمل ما ذكرناه علم أن تأويل الآية على ما ذكره المتعلق بالحديث بعيد عن الصواب

[١٢٨]

فصل في العصمة :

قال أبو جعفر رحمه الله باب الاعتقاد في العصمة .

قال الشيخ المفيد رحمه الله العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق و اللطف و الاعتصام من الحجج بها عن الذنوب و الغلط في دين الله تعالى و العصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته و الاعتصام فعل المعتصم و ليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح و لا مضطرة للمعصوم إلى الحسن و لا ملجئة له

إليه بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصية له و ليس كل الخلق يعلم هذا من حاله بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة و الأخيار .

[١٢٩]

قال الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى الآية و قال سبحانه وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ و قال سبحانه وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ .

و الأنبياء و الأئمة (عليه السلام) من بعدهم معصومون في حال نبوتهم و إمامتهم من الكبائر كلها و الصغائر و العقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير و العصيان و لا يجوز عليهم ترك مفترض إلا أن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلّم) و الأئمة (عليه السلام) من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب و المفترض قبل حال إمامتهم و بعدها

فصل :

فأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم فإن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججا لله تعالى على خلقه .

[١٣٠]

و قد جاء الخبر بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) و الأئمة (عليه السلام) من ذريته كانوا حججا لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم و لم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص و جهل فإنهم يجرون مجرى عيسى و يحيى (عليه السلام) في حصول الكمال لهم مع صغر السن و قبل بلوغ الحلم و هذا أمر تجوزه العقول و لا تنكره و ليس إلى تكذيب الأخبار سبيل و الوجه أن نقطع على كمالهم (عليه السلام) في العلم و العصمة في أحوال النبوة و الإمامة و نتوقف فيما قبل ذلك و هل كانت أحوال نبوة و إمامة أم لا و نقطع على أن العصمة لازمة لهم منذ أكمل الله تعالى عقولهم إلى أن قبضهم (عليه السلام)

[١٣١]

فصل في الغلو و التفويض :

قال أبو جعفر باب الاعتقاد في الغلو و التفويض إلى آخره .

قال الشيخ المفيد رحمه الله الغلو في اللغة هو التجاوز عن الحد و الخروج عن القصد .

قال الله تعالى يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ الآية فنهى عن تجاوز الحد في المسيح و حذر من الخروج عن القصد في القول و جعل ما ادعته النصارى فيه غلوا لتعديه الحد على ما بيناه .

و الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمة من ذريته (عليه السلام) إلى الألوهية و النبوة و وصفوهم من الفضل في الدين و الدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد و خرجوا عن القصد و هم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقتل و التحريق بالنار و قضت الأئمة (عليه السلام) عليهم بالإكفار و الخروج عن الإسلام

فصل :

فأما ما ذكره أبو جعفر رحمه الله من مضي نبينا و الأئمة (عليه السلام) بالسم و القتل فمنه ما ثبت و منه ما لم يثبت و المقطوع به أن أمير المؤمنين و الحسن و الحسين (عليه السلام) خرجوا من الدنيا بالقتل و لم يمت أحدهم حتف أنفه

[١٣٢]

و ممن مضى بعدهم مسموما موسى بن جعفر (عليه السلام) و يقوى في النفس أمر الرضا (عليه السلام) و إن كان فيه شك فلا طريق إلى الحكم فيمن عداهم بأنهم سموا أو اغتيلوا أو قتلوا صبرا فالخبر بذلك يجري مجرى الإرجاف و ليس إلى تيقنه سبيل .

[١٣٣]

و المفوضة صنف من الغلاة و قولهم الذي فارقوا به من سواهم من

[١٣٤]

الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة و خلقهم و نفي القدم عنهم و إضافة الخلق و الرزق مع ذلك إليهم و دعواهم أن الله سبحانه و تعالى تفرد بخلقهم خاصة و أنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه و جميع الأفعال .

و الحلاجية ضرب من أصحاب التصوف و هم أصحاب الإباحة و القول بالحلول و لم يكن الحلاج يتخصص بإظهار التشيع و إن كان ظاهر أمره التصوف و هم قوم ملحدة و زنادقة يموهون بمظاهرة كل فرقة بدينهم و يدعون للحلاج الأباطيل و يجرون في ذلك مجرى المجوس في دعواهم لزرادشت

[١٣٥]

المعجزات و مجرى النصارى في دعواهم لرهبانهم الآيات و البينات و المجوس و النصارى أقرب إلى العمل بالعبادات منهم و هم أبعد من الشرائع و العمل بها من النصارى و المجوس

فصل :

فأما نص أبي جعفر رحمه الله بالغلو على من نسب مشايخ القميين و علماءهم إلى التقصير فليس نسبة هؤلاء القوم إلى التقصير علامة على غلو الناس إذ في جملة المشار إليهم بالشيخوخة و العلم من كان مقصرا و إنما يجب الحكم بالغلو على من نسب المحقين إلى التقصير سواء كانوا من أهل قم أم غيرها من البلاد و سائر الناس .

و قد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله لم نجد لها دافعا في التقصير و هي ما حكي عنه أنه قال أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) و الإمام (عليه السلام) فإن صحت هذه الحكاية عنه فهو مقصر مع أنه من علماء القميين و مشيختهم .

و قد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصرون تقصيرا ظاهرا في الدين

[١٣٦]

و ينزلون الأئمة (عليه السلام) عن مراتبهم و يزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيرا من الأحكام الدينية حتى ينكت في قلوبهم و رأينا من يقول إنهم كانوا يلتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي و الظنون و يدعون مع ذلك أنهم من العلماء و هذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه .

و يكفي في علامة الغلو نفي القائل به عن الأئمة سمات الحدوث و حكمه لهم بالإلهية و القدم إذ قالوا بما يقتضي ذلك من خلق أعيان الأجسام و اختراع الجواهر و ما ليس بمقدور العباد من الأعراض و لا يحتاج مع ذلك إلى الحكم عليهم و تحقيق أمرهم بما جعله أبو جعفر سمة للغلو على كل حال

[١٣٧]

فصل في التقية :

قال أبو جعفر باب التقية إلى آخره .

قال الشيخ المفيد التقية كتمان الحق و ستر الاعتقاد فيه و مكاتمة المخالفين و ترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا و فرض ذلك إذا علم بالضرورة أو قوي في الظن فمتى لم يعلم ضررا بإظهار الحق و لا قوي في الظن ذلك لم يجب فرض التقية .

و قد أمر الصادقون (عليه السلام) جماعة من أشياعهم بالكف و الإمساك عن إظهار الحق و المباطنة و الستر له عن أعداء الدين و المظاهرة لهم بما يزيل الريب عنهم في خلافهم و كان ذلك هو الأصلح لهم و أمروا طائفة أخرى من شيعتهم بمكالمة الخصوم و مظاهرتهم و دعائهم إلى الحق لعلمهم بأنه لا ضرر عليهم في ذلك فالتقية تجب بحسب ما ذكرناه و يسقط فرضها في مواضع أخرى على ما قدمناه و أبو جعفر أجمل القول في هذا و لم يفصله على ما بيناه و قضى بما أطلقه فيه من غير تقية على نفسه لتضييع الغرض في التقية و حكم

[١٣٨]

بترك الواجب في معناها إذ قد كشف نفسه فيما اعتقده من الحق بمجالسه المشهورة و مقاماتها التي كانت معروفة و تصنيفاته التي سارت في الآفاق و لم يشعر بمناقضته بين أقواله و أفعاله و لو وضع القول في التقية موضعه و قيد من لفظه فيه ما أطلقه لسلم من المناقضة و تبين للمسترشدين حقيقة الأمر فيها و لم يرتج عليهم بابها و يشكل بما ورد فيها معناها لكنه على مذهب أصحاب الحديث في العمل على ظواهر الألفاظ و العدول عن طريق الاعتبار و هذا رأي يضر صاحبه في دينه و يمنعه المقام عليه عن الاستبصار

[١٣٩]

في أن آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) كانوا موحدين

قال أبو جعفر في آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) اعتقادنا فيهم أنـهم مسلمون .

قال الشيخ المفيد آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى آدم (عليه السلام) كانوا موحدين على الإيمان بالله حسب ما ذكره أبو جعفر رحمه الله و عليه إجماع عصابة الحق .

قال الله تعالى الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ يريد به تنقله في أصلاب الموحدين .

و قال نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) ما زلت أتنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا

فدل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين إذ لو كان فيهم كافر لما استحق الوصف بالطهارة لقول الله تعالى إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فحكم على الكفار بالنجاسة فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بطهارة آبائه كلهم و وصفهم بذلك دل على أنهم كانوا مؤمنين

[١٤٠]

في تفسير آية قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً الآية

قال أبو جعفر رحمه الله إن الله تعالى جعل أجر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) على أداء الرسالة و إرشاد البرية مودة أهل بيته (عليه السلام) و استشهد على هذا بقوله تعالى قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى .

قال الشيخ رحمه الله لا يصح القول بأن الله تعالى جعل أجر نبيه مودة أهل بيته (عليه السلام) و لا أنه جعل ذلك من أجره (عليه السلام) لأن أجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم و هو مستحق على الله تعالى في عدله و جوده و كرمه و ليس المستحق على الأعمال يتعلق بالعباد لأن العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصا و ما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره .

هذا مع أن الله تعالى يقول وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالًا إِنْ أَجرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

[١٤١]

و في موضع آخر يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي فلو كان الأجر على ما ظنه أبو جعفر في معنى الآية لتناقض القرآن و ذلك أنه كان تقدير الآية قل لا أسألكم عليه أجرا بل أسألكم عليه أجرا و يكون أيضا إن أجري إلا على الله بل أجري على الله و على غيره و هذا محال لا يصح حمل القرآن عليه .

فإن قال قائل فما معنى قوله قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى أ و ليس هذا يفيد أنه قد سألهم مودة القربى لأجره على الأداء قيل له ليس الأمر على ما ظننت لما قدمناه من حجة العقل و القرآن و الاستثناء في هذا المكان ليس هو من الجملة لكنه استثناء منقطع و معناه قل لا أسألكم عليه أجرا لكن ألزمكم المودة في القربى و أسألكموها فيكون قوله قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً كلاما تاما قد استوفى معناه و يكون قوله إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى كلاما مبتدأ فائدته لكن المودة في القربى سألتكموها و هذا كقوله فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ و المعنى فيه لكن إبليس و ليس باستثناء من جملة و كقوله فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ معناه لكن رب العالمين ليس بعدو لي قال الشاعر :

[١٤٢]

و بلدة ليس بها أنيس *** إلا اليعافير و إلا العيس

و كان المعنى في قوله و بلدة ليس بها أنيس على تمام الكلام و استيفاء معناه و قوله إلا اليعافير كلام مبتدأ معناه لكن اليعافير و العيس فيها و هذا بين لا يخفى الكلام فيه على أحد ممن عرف طرفا من اللسان و الأمر فيه عند أهل اللغة أشهر من أن يحتاج معه إلى استشهاد

[١٤٣]

في الحظر و الإباحة

قال أبو جعفر في الحظر و الإباحة الأشياء كلها مطلقة إلى آخره .

قال الشيخ المفيد الأشياء في أحكام العقول على ضربين أحدهما معلوم حظره بالعقل و هو ما قبحه العقل و زجر عنه و بعد منه كالظلم و السفه و العبث .

و الضرب الآخر موقوف في العقل لا يقضي على حظر و لا إباحة إلا بالسمع و هو ما جاز أن يكون للخلق بفعله مفسدة تارة و مصلحة أخرى و هذا الضرب مختص بالعادات من الشرائع التي يتطرق إليها النسخ و التبديل فأما بعد استقرار الشرائع فالحكم أن كل شيء لا نص في حظره فإنه على الإطلاق لأن الشرائع ثبتت الحدود و ميزت المحظور على حظره فوجب أن يكون ما عداه بخلاف حكمه

[١٤٤]

في الطب

قال أبو جعفر اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطب .

قال الشيخ المفيد رحمه الله الطب صحيح و العلم به ثابت و طريقه الوحي و إنما أخذه العلماء به عن الأنبياء (عليه السلام) و ذلك أنه لا طريق إلى علم حقيقة الداء إلا بالسمع و لا سبيل إلى معرفة الدواء إلا بالتوقيف فثبت أن طريق ذلك هو السمع عن العالم بالخفيات تعالى .

و الأخبار الواردة عن الصادقين (عليه السلام) مفسرة

بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) المعدة بيت الأدواء و الحمية رأس الدواء

و عود كل بدن ما اعتاد

و قد ينجع في بعض أهل البلاد من الدواء من مرض يعرض لهم ما يهلك من استعمله لذلك المرض من غير أهل تلك البلاد و يصلح لقوم ذوي عادة ما لا يصلح لمن خالفهم في العادة .

و كان الصادقون (عليه السلام) يأمرون بعض أصحاب الأمراض باستعمال ما يضر بمن كان به المرض فلا يضرهم و ذلك لعلمهم (عليه السلام) بانقطاع سبب

[١٤٥]

المرض فإذا استعمل الإنسان ما يستعمله كان مستعملا له مع الصحة من حيث لا يشعر بذلك و كان علمهم بذلك من قبل الله تعالى على سبيل المعجز لهم و البرهان لتخصيصهم به و خرق العادة بمعناه فظن قوم أن ذلك الاستعمال إذا حصل مع مادة المرض نفع فغلطوا فيه و استضروا به و هذا قسم لم يورده أبو جعفر و هو معتمد في هذا الباب و الوجوه التي ذكرها من بعد فهي على ما ذكره و الأحاديث محتملة لما وصفه حسب ما ذكرناه

[١٤٦]

فصل في الأحاديث المختلفة :

قال أبو جعفر في الحديثين المختلفين إلى آخره .

قال الشيخ المفيد رحمه الله لم يوضح أبو جعفر رحمه الله عن الطريق التي توصل إلى علم ما يجب العمل عليه مما لا يجب بل أجمل القول في ذلك إجمالا مع صدق الحاجة إلى التفصيل و التفرقة بين ما يلزم مما لا يلزم بما يتميز به كل واحد منهما و يعرف بذلك حق الحديث من باطله و الذي أثبته أبو جعفر رحمه الله من مجمل القول فيه لم يجد نفعا .

و قد تكلمنا على اختلاف الأحاديث و بينا فرق ما بين صحيحها من سقيمها و حقها من باطلها و ما عليه العمل منها مما لا يعمل عليه و ما تتفق معانيه مع اختلاف ألفاظه و ما خرج مخرج التقية في الفتيا و ما الظاهر منه كالباطن في مواضع من كتبنا و أمالينا و بينا ذلك بيانا يرفع الإشكال فيه لمن تأمل و المنة لله تعالى فمن أراد معرفة هذا الباب فيرجع إلى كتابنا المعروف

[١٤٧]

بالتمهيد و إلى كتاب مصابيح النور و أجوبة مسائل أصحابنا من الآفاق يجد ذلك على ما ذكرناه

فصل :

و جملة الأمر أنه ليس كل حديث عزي إلى الصادقين (عليه السلام) حقا عليهم و قد أضيف إليهم ما ليس بحق عنهم و من لا معرفة له لا يفرق بين الحق و الباطل .

و قد جاء عنهم (عليه السلام) ألفاظ مختلفة في معان مخصوصة فمنها ما تتلازم معانيه و إن اختلفت ألفاظه لدخول الخصوص فيه و العموم و الندب و الإيجاب و لكون بعضه على أسباب لا يتعداها الحكم إلى غيرها و التعريض في بعضها بمجاز الكلام لموضع التقية و المداراة و كل من ذلك مقترن بدليله غير خال من برهانه و المنة لله سبحانه .

و تفصيل هذه الجملة يصح و يظهر عند إثبات الأحاديث المختلفة و الكلام عليها ما قدمناه و الحكم في معانيها ما وصفناه إلا أن المكذوب منها لا ينتشر بكثرة الأسانيد انتشار الصحيح المصدوق على الأئمة (عليه السلام) فيه و ما

[١٤٨]

خرج للتقية لا تكثر روايته عنهم كما تكثر رواية المعمول به بل لا بد من الرجحان في أحد الطرفين على الآخر من جهة الرواة حسب ما ذكرناه و لم تجمع العصابة على شيء كان الحكم فيه تقية و لا شيء دلس فيه و وضع متخرصا عليهم و كذب في إضافته إليهم .

فإذا وجدنا أحد الحديثين متفقا على العمل به دون الآخر علمنا أن الذي اتفق على العمل به هو الحق في ظاهره و باطنه و أن الآخر غير معمول به إما للقول فيه على وجه التقية أو لوقوع الكذب فيه .

و إذا وجدنا حديثا يرويه عشرة من أصحاب الأئمة (عليه السلام) يخالفه حديث آخر في لفظه و معناه و لا يصح الجمع بينهما على حال رواه اثنان أو ثلاثة قضينا بما رواه العشرة و نحوهم على الحديث الذي رواه الاثنان أو الثلاثة و حملنا ما رواه القليل على وجه التقية أو توهم ناقله .

و إذا وجدنا حديثا قد تكرر العمل به من خاصة أصحاب الأئمة (عليه السلام) في زمان بعد زمان و عصر إمام بعد إمام قضينا به على ما رواه غيرهم من خلافه ما لم تتكرر الرواية به و العمل بمقتضاه حسب ما ذكرناه .

فإذا وجدنا حديثا رواه شيوخ العصابة و لم يرووا على أنفسهم خلافه

[١٤٩]

علمنا أنه ثابت و إن روى غيرهم ممن ليس في العدد و في التخصيص بالأئمة (عليه السلام) مثلهم إذ ذاك علامة الحق فيه و فرق ما بين الباطل و بين الحق في معناه و أنه لا يجوز أن يفتي الإمام (عليه السلام) على وجه التقية في حادثة فيسمع ذلك المختصون بعلم الدين من أصحابهم و لا يعلمون مخرجه على أي وجه كان القول فيه و لو ذهب عن واحد منهم لم يذهب عن الجماعة لا سيما و هم المعروفون بالفتيا و الحلال و الحرام و نقل الفرائض و السنن و الأحكام .

و متى وجدنا حديثا يخالفه الكتاب و لا يصح وفاقه له على حال أطرحناه لقضاء الكتاب بذلك و إجماع الأئمة (عليه السلام) عليه .

و كذلك إن وجدنا حديثا يخالف أحكام العقول أطرحناه لقضية العقل بفساده ثم الحكم بذلك على أنه صحيح خرج مخرج التقية أو باطل أضيف إليهم موقوف على لفظه و ما تجوز الشريعة فيه القول بالتقية و تحظره و تقضي العادات بذلك أو تنكره فهذه جملة ما انطوت عليه من التفصيل تدل على الحق في الأخبار المختلفة و الصريح فيها لا يتم إلا بعد إيراد الأحاديث و القول في كل واحد منها ما بينا طريقه .

و أما ما تعلق به أبو جعفر رحمه الله من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف إليه برواية أبان بن أبي عياش فالمعنى فيه صحيح غير أن هذا الكتاب غير موثوق به و لا يجوز العمل على أكثره و قد حصل فيه تخليط و تدليس فينبغي للمتدين أن يجتنب العمل بكل ما فيه و لا يعول على جملته

[١٥٠]

و التقليد لرواته و ليفزع إلى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها و الفاسد و الله الموفق للصواب .

تمت و بالخير ختمت قد فرغت من تحرير هذه الرسالة المتعلقة على اعتقادات ابن بابويه رحمه الله لشيخنا الإمام العلامة السعيد المفيد طاب ثراه في اليوم التاسع من شهر محرم الحرام من شهور سنة ثمانين بعد الألف من الهجرة المصطفوية على مشرفها و آله ألف تحية و كتبها لنفسه و لمن يشاء الله من بعده العبد أحمد بن عبد العالي الميسي العاملي تجاوز الله عن سيئاته و حشره مع ساداته الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين آمين رب العالمين بمنه و كرمه